

أبو ذر الهروي أحافظ المحدث المالكي

أول من أدخل العقيدة الأشعرية للحرم المالكي

وأول من بثها في المغاربة

(أبو ذر الهروي: حبيب الله بن الطاهر)

تقديم

لا شك أن الحديث عن العقيدة الأشعرية وصفائها وصحتها لا بد أن يقودنا إلى الحديث عن الأعلام العلماء الذين اعتنقوها ونشروها واستماتوا في الذود عنها، وهم أئمة كان عليهم مدار العلوم الشرعية وآلاتها بكل تخصصاتها عبر امتداد الزمان والمكان في هذه الأمة، ومن أبرزهم حسب تخصصاتهم:

أولاً: المفسرون: نذكر منهم: أبو عبد الله القرطبي، وإسماعيل ابن كثير، وابن عطية الأندلسي، وأبو حيان الأندلسي، وفخر الدين الرازي، والواحدي، والسيوطي.

ثانياً: المحدثون: الحاكم، والدارقطني، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو ذر الهروي، والبيهقي، والباجي، والنووي، وابن المنير، وابن بطلال، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي، والقسطلاني، والمناوي، والقاضي عياض، وابن العربي، والحافظ العراقي.

ثالثاً: الفقهاء:

(1) من الحنفية: الكاساني، والسرخسي، والزيلي، وابن عابدين، والطحاوي.

(2) من الشافعية: أبو إسحاق الشيرازي، وأبو إسحاق الإسفراييني، وإمام الحرمين

أبو المعالي الجويني، وأبو حامد الغزالي، والعز بن عبد السلام.

(3) من المالكية: ابن رشد الجد، والمازري، والقرافي، والشاطبي، وابن الحاجب،

والشيخ خليل، وابن جزي، وغيرهم كثير، ويكفي أنك حينما تريد أن تخصص فقيها مالكيًا بالحديث، فلا تفاجأ إذا وجدته أشعري العقيدة، ولا يكاد ينقسم ويشذ عن هذه القاعدة

أحد فيما أعلم؛ قال الإمام السبكي: «وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء

الحنابلة، والله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله

تعالى بطريق شيخ السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى -، لا يحيد عنها إلا

رعاع من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيًا إلا أشعريًا عقيدة⁽¹⁾.

رابعاً: المؤرخون: المحب الطبري، أبو بكر الخطيب البغدادي⁽²⁾، وابن عساكر الدمشقي، وابن الأثير، وابن خلدون، والمقري التلمساني⁽³⁾ والصفدي، وابن خليكان.

خامساً: اللغويون: الجرجاني، وابن مالك، وابن عقيل، وابن هشام، وابن منظور، والفيروزآبادي، والزبيدي، والأزهري، وابن آجروم.

سادساً: القادة والحكام: نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، والملك المظفر سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، وسلاطين الأيوبيين والمماليك والعثمانيين⁽⁴⁾.

ومن هؤلاء العلماء الأشاعرة المحدث المالكي أبو ذر الهروي، وقد يقول قائل: فما الجدوى من الحديث عن عقيدة عالم مالكي المذهب ما دام كلهم أشاعرة كما صرح بذلك الإمام السبكي؟.

نعم ولكن هذا لا يمنع من الكلام عن علم من الأعلام المالكية الأشاعرة المتميز بأمور منها:

(1) لأنه المحدث الذي له باع طويل في رواية الحديث والعلم برجاله؛ بل هو ممن عليه مدار السند في صحيح البخاري.

(2) لأنه من الأوائل الذين اعتنقوا المذهب الأشعري.

(3) لأنه أول من نقل المذهب الأشعري إلى الحرم المكي.

(4) لأنه أول من بث المذهب الأشعري في بين علماء الأندلس والمغرب.

أبو ذر الهروي: النشأة والرحلة العلمية

هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بن محمد أبو ذر الهروي الخراساني، المالكي، المعروف ببلده بـ "ابن السماك الأنصاري"، ولد في سنة 355 هـ، وقيل: 356. وفي ترتيب المدارك: «قال الدلائي: سألت أبا ذر عن مولده، فقال: ولدت أنا سنة خمس، أو ست وخمسين وثلاثمائة؛ شك أبو ذر رضي الله عنه».

(1) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي، ص: 75.

(2) قال الصفدي في الوافي بالوفيات: (445 / 2): "كان الخطيب يذهب مذهب أبي الحسن الأشعري".

(3) وصف نفسه بكونه أشعرياً في كتابه "نفع الطيب من عصن الأندلس الرطيب": 1 / 1.

(4) المقام هنا لا يسمح بترجمة كل علم من هؤلاء الأعلام، ولكن الباب مفتوح للباحثين لإثبات ذلك إن كان صحيحاً، أو الرد على هذا المقال إن كان خطأ.

وكانت ولادته في "هراة"⁽¹⁾ وإليها ينتسب؛ وهي: مدينة بخراسان، وهي اليوم من مدن أفغانستان، بناها الإسكندر، وهذا هو الصحيح؛ وقال أحمد المقرئ: «واعلم أن هراة المنسوب إليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التي وراء النهر نظيرة بلخ، وإنما هي هراة بني شيانة بالحجاز، وبها كان سكنى أبي ذر»⁽²⁾، وهذا وهم منه، لم أعتز على مكان اسمه هراة بالحجاز، ولعله رأى "سراة" التي سكنها الهروي قرب مكة وتزوج بها كما سيأتي - إن شاء الله - فظنها "هراة"؛ بدليل أنه كان في بداية حياته بخراسان؛ تعلم من بلخ، وسرخس، وهراة، ومرو؛ وكلها مدن تابعة لجهة خراسان، ولا يعقل أن يولد في الحجاز مهد العلم والعلماء، ثم ينتقل إلى خراسان في بداية حياته للتعلم.

ثم انتقل من أجل الازدياد في تحصيل العلوم الشرعية بعد الاستفادة من علماء مدن خراسان - هراة وبلخ وسرخس ومرو - إلى كل من البصرة وبغداد في العراق، ثم إلى دمشق والحجاز، ومصر؛ فأخذ عن جلة من العلماء الكبار، فكان كثير الشيوخ يعدون بالعشرات، منهم حسب البلدان التي شملتها رحلته العلمية⁽³⁾:

أولاً: في مدن خراسان (هراة وبلخ وسرخس ومرو):

- أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خمرويه الهروي (ت 372 هـ).
- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي (ت 376 هـ).
- أبو سعيد محمد بن أحمد الخليل السجزي الحنفي قاضي سمرقند (ت 378 هـ).
- أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي (ت 381 هـ).
- أبو الهيثم محمد بن مكى الكُشْمِيهْنِي المتوفى يوم عرفه سنة (389 هـ).
- أبو بكر أحمد بن عبد الله الشيرازي (ت 411)، وقيل: (407 هـ).
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت 403 هـ).
- بشر بن محمد المزني لم أعتز على تاريخ وفاته.

ثانياً: في بغداد نهل من معين علماء أجلاء منهم:

(1) هراة أيضاً ينسب كثير من العلماء غيره منهم: أبو عاصم محمد بن أحمد الهروي المتوفى سنة 458 هـ، وأبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، ومن كبار الخنابلة، المتوفى سنة 481 هـ، وأبو عبيد أحمد بن محمد الفاشاني الهروي الشافعي اللغوي، صاحب كتاب الغريين في القرآن والحديث، وهو من الكتب النافعة السائرة في الآفاق، المتوفى سنة 401 هـ. والله أعلم. انظر: تعريف بالأمكان الواردة في البداية والنهاية لابن كثير: 2/ 403.

(2) نفح الطيب من عصف الأندلس الرطيب: 71/2.

(3) راجع في ذلك: تاريخ دمشق لابن عساكر: 37/ 390، وترتيب المدارك لعياض: 7/ 46، وسير أعلام النبلاء للذهبي: 17/ 555، وتذكرة الحفاظ له أيضاً: 3/ 201.

- القاضي أبو الحسن القصار (ت 398هـ).
- أبو بكر الأبهري (ت 395هـ).
- أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري مسند العراق (ت 381هـ).
- أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه البغدادي (ت 382هـ).
- أبو الحسن الدارقطني (ت 385هـ).
- أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ).
- أبو بكر بن فورك المتوفى (ت 406هـ).
- أبو بكر محمد بن شاذان بن يزيد الجوهري (ت 386هـ).
- أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحربي الحميري السكري (ت 386هـ).
- أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بـ "ابن شاهين" (ت 385هـ).

ثالثاً: في البصرة منهم:

- أبو بكر هلال بن محمد بن محمد البصري المعمر (ت 379) وقد ناهز المائة.
- عبد الله بن أحمد أبو محمد البصري المقرئ المعروف بابن المتعل (ت 380هـ).
- أبو بكر محمد بن بكر بن عبد الرازق التمار البصري عرف بابن داسة (ت 346هـ).
- أبو عبد الله شيبان بن محمد بن عبد الله بن شيبان الضبيعي، لم أعر على وفاته.

رابعاً: في دمشق منهم:

- أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي الدمشقي المعمر (ت 396هـ).
- أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد مسند دمشق (ت 405هـ).
- أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (ت 401هـ).

خامساً: في مصر منهم:

- أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب البغدادي المقرئ المسند نزيل مصر (ت 399هـ).

أخيراً: في مكة المكرمة منهم:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدينوري كان حياً بمكة (ت 372هـ) ناهز 80⁽¹⁾.
 - أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس المكي مسند الحجاز (ت 404هـ).
- وفي الحرم المكي وضع عصي الترحال العلمي ليجاور بجانب الكعبة للعطاء والإفادة.

(1) الديباج المذهب لابن فرحون، ص: 143.

أبو ذر الهروي: المذهب والعقيدة

كان أبو ذر الهروي في بداية مشواره العلمي يهتم بالحديث ورجاله وروايته ودرايته، ومذهبه في العقيدة والفقه في هذه الفترة غير معروف؛ وكانت وقفة واحدة من شيوخه الحافظ الدارقطني من أبي بكر الباقلاني كافية لتصنع في حياته منعرجا يعد نقطة تحول فكري ومذهبي؛ إذ لفت انتباهه، فكانت سببا في اعتناقه المذهبين: الأشعري في العقيدة، والمالكي في الفقه.

يدل على ذلك قصة يحكيها لنا تلميذه أبو الوليد الباجي فيقول في كتابه "اختصار فرق الفقهاء": سألت أبا ذر الهروي: من أين تمذهبت لمالك والأشعري؟ فقال: كان سبب أخذي عن القاضي أبي بكر الباقلاني، ومعرفتي بقدره، أني كنت ماشيا ببغداد مع الحافظ أبي الحسن الدارقطني، إذ لقينا شابا، فالتزمه الشيخ أبو الحسن، وقبّل وجهه وعينيه وعظمه ودعا له، فلما فارقناه، قلت له: من هذا الذي صنعت به ما لم أعتقد أنك تصنعه وأنت إمام وقتك؟ فقال: هذا إمام المسلمين، والذائب عن الدين، وناصر السنة، وقامع المعتزلة، هذا القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني. فقال أبو ذر: فمن ذلك الوقت ترددت إليه مع أبي وأخذت عنه، وكل بلد دخلته من بلاد خراسان وغيرها، لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقه⁽¹⁾.

قال الذهبي: «الباقلاني هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان، وبالخضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية وألوان البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية، وكان يرد على الكرامية، وينصر الحنابلة عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامر، وإن كانوا قد يختلفون في مسائل دقيقة، فلهذا عامله الدارقطني بالاحترام»⁽²⁾.

ولم يكن أبو ذر قد اعتنق المذهب الأشعري فحسب؛ بل سجل فيه للتاريخ أسبقيات وأوليات، جعلته فيه داعيا متميزا.

الأولية الأولى: أبو ذر الهروي أول من أدخل العقيدة الأشعرية الحرم المكي.

حقيقة تاريخية اعترف له بها الأصدقاء والأتباع المعتقدون معه العقيدة الأشعرية، والأعداء المنتقدون له بسبب العقيدة الأشعرية.

(1) ترتيب المدارك لعياض: 46/7، وتاريخ دمشق لابن عساكر: 392/37، وسير أعلام النبلاء للذهبي: 362/13.

ونفع الطيب للمقري التلمساني: 70/2.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي: 362/13.

أما المتقدون معه - وهو كثر - فمنهم تلامذته الذين نهلوا من علمه الآتية أسماؤهم قريبا، أمثال القاضي أبو الوليد الباجي، وأبو عمران الفاسي، وقد نقل ذلك أيضا الحافظ ابن عساكر⁽¹⁾.

أما المتقدون له بسببها فمنهم:

أولا: شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقد نقل عن الحسين بن أبي أمامة المالكي⁽²⁾ أنه قال: سمعت أبي يقول: لعن الله أبا زر الهروي؛ فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم.

وكان ابن تيمية - رحمه الله - لم يستسغ هذا اللعن المجحف الصادر من هذا الرجل في حق الهروي - رحمه الله - محاولا إنصافه رغم الاختلاف معه مستطردا: «أبو زر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به، وقد كان قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفي، على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث»⁽³⁾.

ثانيا: الإمام أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي؛ فقد قال في رده على الهروي حين انتقد رواية الحافظ حفص بن عمر الأردبيلي الحنبلي المتوفى سنة (339 هـ): «إن أبا زر كان من الأشاعرة المبغضين، وهو أول من أدخل الحرم مذهب الأشعري، ولا يقبل جرحه الحنبلي يعتقد كفره»⁽⁴⁾.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من التهجم غير المبرر الذي أدى إلى تبادل الاتهام بالخروج عن الملة نعوذ بالله، ولكن إذا علمنا أنه قد صدر من ابن الجوزي - رحمه الله - المعروف بتشده في هذا المجال، قد نفهم هذا الموقف المتشدد، وعلى كل حال فهو غير مقبول، كما لا يقبل كلام الذهبي عن ابن الجوزي نفسه حين قال: «وفي الحديث له إطلاع تام على متونه، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين»⁽⁵⁾.

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر: 394/37.

(2) لم أعتز على ترجمته.

(3) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 2/101. تحقيق محمد رشاد سالم، ط، دار الكنوز، الرياض، 1391 هـ.

(4) المنتظم في التاريخ لابن الجوزي: 7/194.

(5) طبقات المفسرين للسيوطي، ص: 50.

ثالثاً: الإمام الذهبي؛ حيث قال: «وكان على مذهب مالك ومذهب الأشعري؛ أخذ الكلام ورأى أبي الحسن عن القاضي أبي بكر الباقلاني، وبث ذلك بمكة»⁽¹⁾.
الأولية الثانية: أبو ذر الهروي أول من بث العقيدة الأشعرية في المغاربة

قد تضاربت الآراء في أول من أدخل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب والأندلس، وقد حاول الأستاذ يوسف احنانه في كتابه القيم "تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي" تلمس الطريق في ذلك؛ فعزا ذلك في البداية لإبراهيم بن عبد الله الزبيدي الشهير بالقلانسي (359هـ)؛ إلا أنه -كما قال- لا يملك دليلاً يدعم ذلك، أو يزيكه، أو يقارب أن يفعل⁽²⁾. ثم رشح لذلك أبا ميمونة دارس بن إسماعيل الفاسي (357هـ)؛ إلا أنه انتهى به الأمر بعد البحث والتنقيب إلى عزله أيضاً عن ذلك، ليحكي إجماع الباحثين أن هذه الميزة كانت من نصيب الإمام العلامة أبي الحسن القابسي (403هـ)؛ إلا أنه أيضاً مرة ثالثة كاد أن يسحبها عنه لولا إجماع الباحثين كما قال⁽³⁾، ليوشح بها صدر كل من أبي عمر الطلمنكي (429هـ)، وأبي عمران الفاسي (430هـ)، وأبي الوليد الباجي (474هـ)، مع شيء من التشكيك في الأولين دون الأخير، ليخرج بنتيجة مفادها: «وبالجملة فإن أبا الوليد الباجي هو المفكر الوحيد في هذه الفترة الذي وصلتنا بعض عطاءاته في هذا المجال»⁽⁴⁾، فما كاد القارئ يستريح موقناً أن هذه الميزة كانت من نصيب الباجي حتى فاجأه بنقل عن يوسف ابن الزيات (ت 627هـ) مفاده: أن أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي (489هـ) هو «أول من أدخل علم الاعتقادات -أي الأشعرية- بالمغرب الأقصى»⁽⁵⁾، يساعده في ذلك تلميذه المباشر الذي اختص به ولازمه أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير (520هـ) الذي كان أشعري العقيدة بلا جدال⁽⁶⁾.

وبذلك فإن الأستاذ -وإن لم يصل إلى الحقيقة برمتها- فقد كشف لنا عن الطريق إليها، وهي أن أول من نشر العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي ليس فرداً واحداً، وأنى للفرد الواحد أن يغير من العقائد المنتشرة؛ بل الحقيقة أن الذي قام بذلك هو جماعة من العلماء، منهم الذين ذكرهم الأستاذ وغيرهم، وأغلبهم تلامذة الحافظ أبي ذر الهروي أمثال الباجي، وأبي عمران الفاسي، ولا أدري لماذا غمط الأستاذ أبا ذر الهروي حقه هنا؟

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي: 362/13.

(2) تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ليوسف احنانه، ص: 67.

(3) نفس المصدر، ص: 68-71.

(4) نفس المصدر، ص: 78، والشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات، ص: 87، تحقيق د، على عمر.

(5) نفس المصدر، ص: 68-71. انظر أيضاً أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري ص: 289.

(6) نفس المصدر، ص: 85.

لعله لم يتنبه لهذا؛ لأنه لم يشر من قريب ولا من بعيد لدوره المشهود له من طرف العلماء كما سنرى؛ بل لم أعتَر له في كتابه كله على ذكر، في حين أنه قد اشتهر لدى العلماء أن «أول من بث العقيدة الأشعرية في المغاربة هو أبو ذر الهروي»؛ والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: مما لا شك فيه أن علم أي عالم وفكر أي مفكر إنما ينتشر ويتسع بمجهود تلامذته الذين يحملون أفكاره، ويتحملون في نشرها المشاق والصعاب، فكم من مذاهب لعلماء أجلاء في الأمة ضيعها تلامذتهم، أمثال مذهب الأوزاعي في الأندلس، وابن شهاب الزهري، وابن المسيب، والليث، ويحيى ابن معين، وغيرهم كثير.

وإذا علمنا هذا فإن أبا ذر الهروي - رغم أنه لم يزر قط الأندلس؛ إذ كانت منتهى رحلته العلمية هو مصر كما سبق - هو أول من بث العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي عبر تلامذته الذين انتشروا في كل أصقاع الأندلس، فقد وقفت له على زهاء مائة تلميذ كلهم أندلسيون، فقهاء مبرزون؛ أغلبهم قضية مشهود لهم بالعدل والإنصاف، وعلى رأسهم العلامة أبو الوليد الباجي، أخذوا عنه الحديث والعقيدة، وبتوجيه منه توجه بعضهم إلى العراق مصدر العقيدة الأشعرية، لينهلوا العلم من منبعه الأصلي الأصيل. وسيأتي بعضهم عند الحديث عن عطائه العلمي.

ثانياً: قد صرح غير واحد بأن أبا ذر الهروي أول من بث مذهب الأشعري في المغرب والأندلس منهم:

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: «إن أبا ذر الهروي هو أول من بث علم الكلام في المغاربة...؛ وأهل المغرب كانوا يحجون، فيجتمعون به، ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة، ويدلهم على أصلها (بغداد)، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبو الوليد الباجي، فأخذ طريق أبي جعفر السمناني⁽¹⁾ الحنفي صاحب القاضي الباقلاني، ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي، فأخذ طريقة أبي المعالي إمام الحرمين في الإرشاد»⁽²⁾.

(2) الإمام الذهبي حين قال: «وكان الهروي على مذهب مالك ومذهب الأشعري؛ أخذ الكلام ورأى أبي الحسن عن الباقلاني، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب، والأندلس، وقبل ذلك كانوا لا يدخلون في الكلام؛ بل يتقنون الفقه، أو الحديث، أو العربية، ولا

(1) السمناني هو: العلامة، قاضي الموصل، أبو جعفر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الحنفي، من أئمة الأشاعرة، قال الذهبي: كان من أذكى العالم، أخذ علم الكلام عن الباقلاني، وأخذ عنه القاضي أبو الوليد الباجي وغيره، توفي سنة 444 هـ، وله 83 سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 17/651-652، وتذكرة الحفاظ له أيضاً: 3/246.

(2) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 2/101.

يخوضون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصيلي⁽¹⁾، وأبو الوليد بن الفرضي⁽²⁾، وأبو عمر الطلمنكي⁽³⁾، ومكي القيسي⁽⁴⁾، وأبو عمرو الداني⁽⁵⁾، وأبو عمر بن عبد البر⁽⁶⁾»⁽⁷⁾.
ثالثاً: للمغاربة علاقة خاصة بالحرمين؛ فقد التزموا في الفقه بالمذهب المالكي، والتزموا في القرآن برواية ورش عن نافع، كما التزموا في العقيدة بالأشعرية بسبب ما بث فيهم شيخهم بمكة الهروي؛ فقد ذكر ابن خلدون سبب التزامهم بالمذهب المالكي، وهو نفسه السبب الذي جعلهم يلتزمون برواية ورش عن نافع، وعقيدة الهروي عن الأشعري.

قال ابن خلدون: «وأما مالك -رحمه الله تعالى- فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم؛ إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم. والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقترضوا على الأخذ عن علماء المدينة. وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده. فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره، ممن لم تصل إليهم طريقته»⁽⁸⁾.
 ولعل هذا يصح اعتباره في رواية ورش عن نافع، وعقيدة الهروي عن الأشعري.

أبو ذر الهروي: الاستقرار والعطاء العلمي

بعد أن أحس أبو ذر -رحمه الله- من نفسه القدرة على العطاء، بعد هذه الجولة العلمية المتنوعة مكاناً (من خراسان، إلى العراق، فدمشق، فمصر، فالحجاز) والمتنوعة أيضاً في الشيوخ الذين يعدون بالعشرات، سكن مكة وجاور بها أزيد من ثلاثين سنة⁽⁹⁾.

(1) الأصيلي هو: أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأندلسي، أصله من أصيلة (في المغرب)، الحافظ العلامة المتفنن العارف بالحديث والسنة، القاضي بسرقسط، قال الدارقطني: "لم أر مثله". وكان في خلقه زعامة وحدة، مات في ذي الحجة سنة 392 هـ. المدارك لعياض: 7/ 135-145، والديباج لابن فرحون، ص: 224، والتذكرة للذهبي: 3/ 152.

(2) ابن الفرضي هو: عبد الله بن محمد بن يوسف أبو الوليد، المؤرخ الحافظ، ولد بقرطبة 351 هـ، وتولى قضاء بلنسية، صاحب "تاريخ علماء الأندلس" توفي 403 هـ. الديباج لابن فرحون، ص: 233، والتذكرة للذهبي: 3/ 185.

(3) (ت 429 هـ).

(4) هو مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي، العلامة المحقق أستاذ القراء، كان حسن الفهم، كثير التأليف في علوم القرآن، توفي سنة 437 هـ. طبقات القراء لابن الجزري: 2/ 309-310.

(5) (د 371 ت 444 هـ).

(6) (د 368 ت 463 هـ).

(7) سير أعلام النبلاء للذهبي: 13/ 362.

(8) مقدمة ابن خلدون، ص: 449.

(9) ترتيب المدارك للقاضي عياض: 7/ 232.

قال أبو بكر الخطيب البغدادي: «قدم أبو ذر بغداد، وحدث بها وأنا غائب، وخرج إلى مكة وجاور، ثم تزوج في العرب، وأقام بالسروات»⁽¹⁾، فكان يحج كل عام ويحدث، ثم يرجع إلى أهله، وكتب إلينا من مكة بالإجازة بجميع حديثه»⁽²⁾.

وكان يتحمل في كثرة تردده لمكة المشقة التي تدل بعد شقته من الحرم؛ فقد حكى ابن عساكر أن أبا ذر - رحمه الله - قال: كنت أحج على قدمي حجات، فنفذ زادي مرة وضعفت، فاستقرضت من إنسان فأعطاني كفا فما كفاني، ومضى بعد ذلك علي يومان فأيست من نفسي، واستسلمت للموت؛ فإذا بسواد قد لاح لي مقبلا إلي، فحدقت النظر نحوه، وإذا أنا بامرأتين على ناقتين وقد مدتا أيديهما، بيد كل واحدة منهما قعب⁽³⁾ فيه لبن، فأخذت أحدهما وشربت، فبكت الأخرى فقلت لها: ما لك تبكين؟ فقالت: تسابقنا إلى البر فسبقتنني، فقلت لها أعطني فإني أشرب أيضا فما شبع، فقالت: هيهات ومن لي بري عظامك؟!⁽⁴⁾.

وأثناء مجاورته بمكة تصدر للعطاء العلمي على جبهتين:

الجبهة الأولى تأليف القلوب؛ وذلك بصفة عامة، وبصفة خاصة.

أما على الصفة العامة، فيمثله تصدره للفتيا لعامة الناس، لا حبا في الظهور؛ ولكن أداء لواجب التبليغ عن الله تعالى، وفرارا من جريمة كتمان العلم؛ يدل على ذلك أنه كان يتحرى في الفتوى ولا يفتي إلا للضرورة، وإذا سئل عن مسألة وفي المجلس عالم غيره يحيل الفتوى عليه، لا تهربا من المسؤولية، ولا لقلّة زاد العلم؛ ولكن تعظيما لجانب التوقيع عن الله تعالى من جهة، ومن جهة أخرى حتى يستفيد هو بنفسه من حضور عالم آخر؛ قال القاضي عياض: «كان يتحرى في الفتيا، ويحيل على من يحضره من فقهاء المالكية للسمع منه»⁽⁵⁾.

أما على الصفة الخاصة، فيمثله نشر العلم الشريف، وخصوصا الحديث عبر مئات من التلاميذ، أغلبهم من الغرب الإسلامي، خصوصا الأندلس؛ منهم:

(1) السروات أو السراة: سلسلة جبلية تمر بالحجاز، تمتد من اليمن إلى أطراف الشام، وإذا أطلقت في جزيرة العرب فإنها يقصد بها المنطقة الجبلية الواقعة جنوب الطائف المطلة على عرفة، إلى قرب مدينة أتبّا. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري: 1/ 188، والمعالن الجغرافية الواردة في السيرة النبوية مادة (سر) ص: 157.

(2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: 11/ 141، وتاريخ دمشق لابن عساكر: 37/ 392، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 3/ 202، وسير أعلام النبلاء له أيضا: 13/ 360-365.

(3) القعب: قذح من خشب مقعر، مادة (قعب) من الصحاح للجوهري.

(4) تاريخ دمشق لابن عساكر: 37/ 393.

(5) ترتيب المدارك للقاضي عياض: 7/ 232.

1. القاضي أبو الوليد الباجي الأندلسي (ت 471 هـ).
2. عمر بن أنس بن دهاث العذري الأندلسي لم أعر على وفاته
3. ابنه أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس، رحل إلى المشرق وصحب أبا ذر الهروي وسمع منه صحيح البخاري مرات (د 393 ت 478 هـ).
4. عمر بن عبد الملك بن عمر بن دهاث العذري من قرابة السابق لم أعر على وفاته.
5. محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت 476 هـ).
6. محمد بن أحمد بن منظور أبو عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 464 هـ).
7. عبد الله بن سعيد الشنتجالي الأندلسي (ت 436 هـ) جاور بمكة 30 سنة.
8. حسين بن عيسى أبو علي الأندلسي قاضي مالقة المعروف بحسون (ت 473 هـ).
9. طاهر بن هشام بن طاهر أبو عثمان الأندلسي من أهل المرية (ت 477 هـ).
10. عبد الرحمن بن محمد بن طاهر أبو زيد من أهل مرسية (ت 469 هـ).
11. عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الحشا أبو زيد، قاضي طليطلة (ت 473 هـ).
12. محمد بن خلف أبو عبد الله المعروف بابن السقاط القاضي بقرطبة سمع من أبي ذر الهروي صحيح البخاري سنة (415 هـ) وأجاز له (ت 485 هـ).
13. الحسين بن محمد بن مبشر أبو علي السرقسطي عرف بابن الإمام (ت 473 هـ).
14. خلف بن أحمد بن جعفر أبو القاسم الجراوي من أهل المرية (ت 475 هـ).
15. عيسى بن محمد بن عبد الرحمن أبو الأصبع القرطبي ابن الحشاء (ت 402 هـ).
16. القاسم بن محمد أبو محمد الأندلسي لم أعر على وفاته.
17. عبد الله بن محمد بن ثوبة أبو محمد اللخمي من أهل إشبيلية (ت 442 هـ).
18. عبد الرحمن بن عبد الله أبو المطرف الجهني من أهل طليطلة توفي بعد (480 هـ).
19. علي بن أبي القاسم بن عبد الله بن علي أبو الحسن المقرئ الأندلسي (ت 472 هـ).
20. المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أبو القاسم الأسدي من أهل المرية (ت 436 هـ)، وهو من شيوخ ابن بطال شارح البخاري.
21. عبد الله بن علي بن أبي الأزهر أبو بكر الطليطلي سكن المرية (ت 463 هـ).
22. محمد بن إبراهيم بن وهب القيسي من أهل طليطلة (ت 453 هـ).
23. مرزوق بن فتح بن صالح أبو الوليد من أهل طليطلة بالأندلس (ت 482 هـ).
24. يوسف بن عبد الرحمن أبو يعقوب من أهل مجريط بالأندلس (ت 473 هـ).
25. علي بن عبادل أبو الحسن الإشبيلي (ت 452 هـ).
26. علي بن أبي القاسم بن عبد الله بن علي بن السرقسطي نزيل طليطلة (ت 472 هـ).
27. أحمد بن محمد بن مغيث أبو عمر الصدي من أهل طليطلة (ت 459 هـ).
28. عبد الله بن بكر بن قاسم أبو محمد القضاعي من أهل طليطلة (ت 431 هـ).

29. عثمان بن أبي بكر بن حمود أبو عمرو السفاقي أصلاً ابن الضابط (ت 440 هـ).
30. محمد بن علي بن أحمد بن محمود الوراق أبو عبد الله الأندلسي لم أعتز على وفاته.
31. هشام بن محمد بن عبد الغافر المعافري البزاز القرطبي أبو الوليد لم أعتز على وفاته.
32. محمد بن وليد بن عقيل العكي أبو عبد الله المالقي المجاور بمكة (ت 440 هـ).
33. موسى بن أبي حاج الغفجومي أبو عمران الفاسي (ت 403 هـ).
34. بكار بن برهون بن الغرديس أبو القاسم السجلماسي الفاسي المعمر يقال: بلغ المائة كان حياة سنة (493 هـ).

35. موسى بن علي الصقلي أبو عمران سكن دمشق 30 سنة (ت 470 هـ).
36. عبد الحق الصقلي أبو محمد المالكي صاحب كتاب "النكت" (ت 466 هـ).

أما من أخذ عنه من الأندلس بالإجازة فمنهم:

1. أبو عمر يوسف بن عمر بن عبد البر الشاطبي الأندلسي (ت 463 هـ).
2. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني الإشبيلي (د 418 ت 508 هـ).
3. أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد المقرئ الأندلسي (ت 444 هـ) ⁽¹⁾.
4. أبو محمد عبد الله بن محمد المعيطي القرطبي (ت 469 هـ).
5. أبو مروان عبيد الله بن محمد بن مالك القرطبي (ت 469 هـ).
6. أبو عبد الله زياد بن عبد الله الأنصاري خطيب جامع قرطبة (ت 478 هـ) ⁽²⁾.

ومن غير المغاربة

1. نجله أبو مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي (ت 497 هـ).
2. أبو الحسن علي بن محمد بن شجاع بن أبي الهول الدمشقي (ت 444 هـ).
3. أبو علي الحسن بن عبد الرحمن الشافعي المكي المعدل (ت 472 هـ).
4. أبو الحسن علي بن بكار بن أحمد الصوري الدمشقي (ت 459 هـ).
5. القاضي أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد النسوي الشافعي (ت 478 هـ).
6. أبو محمد عبد الله بن الحسن التنيسي عرف بابن النحاس المصري (ت 462 هـ).
7. أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن النيسابوري (ت 470 هـ).

(1) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: 405 / 29.

(2) انظر تراجمهم في: تاريخ علماء الأندلس لابن الفريسي، وجذوة المقتبس للحميدي، وذيله: بغية الملتبس للضيبي، والديباج لابن فرحون، والصلة لابن بشكوال، وترتيب المدارك لعياض، وشذرات الذهب لابن العماد، وتذكرة الحفاظ للذهبي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والوفاء بالوفيات للصفدي، والوفيات لأبي العباس بن الخطيب، والوفيات لأحمد بن قنفذ، وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني، وذيل مولد العلماء لعبد العزيز الكتاني، ومختصر العروة الوثقى فهرست لأبي عبد الله الحجوي، وفهارس علماء المغرب، للدكتور عبد الله التفرقي.

8. أحمد بن محمد بن زيد القزويني المالكي (توفي في نيف وتسعين وثلاثمائة).
9. أبو الطاهر إسماعيل بن سعيد النحوي وقد مدح أبا ذر بقصيدة⁽¹⁾.
10. أبو معاذ علي بن عبد الغالب البغدادي الضراب المعروف بابن القني، رفيق الخطيب البغدادي (ت 431 هـ)⁽²⁾.

أما من أخذ عنه بالإجازة من غير المغاربة فمنهم:

1. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد (ت 463 هـ).
 2. أبو الحسين أحمد بن عبد القادر اليوسفي البغدادي (ت 492 هـ) عن 81 سنة.
- ولا بد هنا من التنبيه على أن كثرة تلامذته من المغرب والأندلس، هو ما يفسر لنا ما سبق من أنه هو أول من بث العقيدة الأشعرية في المغرب من خلال تلامذته.

الجبهة الثانية تأليف الكتب؛ من الحقائق الثابتة أنه لا يآلف من العلماء في طيات التاريخ ولا يؤلف من لم يؤلف، وأنه لا يغني تأليف القلوب عن تأليف الكتب، فتأليف القلوب تموت بموت أصحابها، وتأليف الكتب تبقى ببقاء صفحاتها، فقد أدرك أبو ذر الهروي - رحمه الله - هذا، فصنف عدة مؤلفات، طرق بها عناوين مختلفة؛ العقدية، والحديثية، والفقهية، والأخلاقية، والتاريخية؛ وبما أنه الحافظ المحدث، فقد غلب عليها الطابع الحديثي، أغلبها مفقود لم يصل إلينا إلا عناوينها، ووصف العلماء الذين اطلعوا عليها قبل فقدانها؛ منها: كتابه الكبير المستدرك على الصحيحين، قال الذهبي: «له مستدرك لطيف في مجلد على الصحيحين، علّق منه، يدل على معرفته»، وله أيضاً كتاب السنة، والجامع، ومسانيد الموطأ، والدعوات، والصفات، وفضائل القرآن، وشهادة الزور، وكتاب العيدين، والمناسك، والربا، واليمين الفاجرة، وكرامات الأولياء، ودلائل النبوة، وفضائل مالك، ومعجم شيوخه. قال الذهبي: «وهذه التأليف لم أرها؛ بل سماها القاضي عياض»⁽³⁾.

وكان يحب مكتبته، ولا يسمح لأحد أن يعبث بها ولو بنية حسنة؛ فقد أورد الذهبي عن الباجي قصة وقعت بينه وبين تلميذه أبي عمران الفاسي تدل على حبه لكتبه؛ قال الباجي: أخبرنا أبي أن الفقيه أبا عمران الفاسي مضى إلى مكة، وقد كان قرأ على أبي ذر شيئاً، فوافق أبا ذر في السراة موضع سكناه، فقال لحازن كتبه: أخرج إلي من كتب الشيخ

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي: 362/13.

(2) قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (43/71): "لم يذكره الخطيب في تاريخه مع أنه قد روى عنه"، قلت هذا وهم منه رحمه الله؛ فقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (11/140).

(3) ترتيب المدارك لعياض: 229-233/7، والديباج المذهب لابن فرحون، ص: 311، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 203/3، وسير أعلام النبلاء له أيضاً: 365-369/13.

ما أنسخه ما دام غائباً، فإذا حضر قرأته عليه. فقال الخازن: لا أجتري على هذا، ولكن هذه المفاتيح إن شئت أنت، فخذ وافعل ذلك. فأخذها وأخرج ما أراد، فسمع أبو ذر بالسراة بذلك، فركب، وطرق مكة، وأخذ كتبه، وأقسم أن لا يحدثه.

وكان أبو عمران بعد ذلك إذا حدث عن أبي ذر، يورّي عن اسمه، فيقول: أخبرنا أبو عيسى، وبذلك كانت العرب تكنيه باسم ولده. قال الذهبي تعليقاً على هذه القصة: «ما لانزعاج أبي ذر وجهه، والحكاية دالة على زعارة⁽¹⁾ الشيخ والتلميذ رحمهما الله»⁽²⁾.

أبو ذر الهروي: الحافظ المحدث

يعد أبو ذر الهروي من أعلام المحدثين الحفاظ الذين عليهم مدار علم الحديث دراية ورواية؛ يشهد لذلك ما يلي:

أولاً: شهادة العلماء وثناؤهم له وتحلياتهم إياه، فقد كان له في أوساطهم المكانة المرموقة، وخصوصاً لدى علماء الحديث، رغم اختلافهم معه في بعض الأمور التي تتعلق بعقيدته الأشعرية، وخصوصاً منهم الحنابلة؛ وهذه بعضها:

- (1) تحلية أبي بكر الخطيب البغدادي: «كان ثقة فاضلاً ضابطاً ديناً»⁽³⁾.
- (2) تحلية أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل في "تاريخ نيسابور" (ت 529 هـ): «كان أبو ذر زاهدا ورعا عالماً، سخياً لا يدخر شيئاً، وصار من كبار مشيخة الحرم، مشاراً إليه في التصوف، خرج على الصحيحين تحريماً حسناً، وكان حافظاً كثير الشيوخ»⁽⁴⁾.
- (3) تحلية القاضي عياض: «كان - رحمه الله - مالكي المذهب، إماماً في الحديث حافظاً له، ثقة ثبتاً متفناً، واسع الرواية متحريراً في سماعه، كثير المعرفة بالصحيح، والسقيم، وعلم الرجال، حسن التأليف، وكان مع ذلك زاهداً متقشفاً، فاضلاً متقللاً».
- (4) تحلية تلميذه السابق ذكره أبي محمد الشنجلالي: «من رأى أبا ذر، رآه على هدى السلف الصالح من الصحابة، والتابعين».
- (5) تحلية حاتم بن محمد⁽⁵⁾: «كان أبو ذر مالكياً خيراً، فاضلاً متقللاً من الدنيا، بصيراً بالحديث وعلمه، ويميّز الرجال»⁽⁶⁾.

(1) الزعارة بتشديد الراء: شراسة وشدة في الأخلاق ولا فعل له. مادة (زعر) الصحاح للجوهري، والمختار للرازي.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي: 13 / 364.

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: 11 / 141.

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي: 13 / 363، وانظر أيضاً الديباج المذهب لابن فرحون، ص: 422.

(5) هو: أبو القاسم حاتم بن محمد القرطبي أصله من طرابلس الشام صاحب القاسبي وأبا عمران الفاسي (ت 469 هـ). انظر: الديباج المذهب لابن فرحون، ص: 179.

(6) ترتيب المدارك للقاضي عياض: 7 / 232.

(6) تحلية شيخ الإسلام ابن تيمية: «أبو ذر فيه من العلم والدين، والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به»⁽¹⁾.

(7) تحلية الإمام الذهبي: «الحافظ الإمام، المجود العلامة، شيخ الحرم، صاحب التصانيف، وراوي "الصحيح" عن الثلاثة؛ المستملي، والحموي، والكشميهني»⁽²⁾.

ثانياً: أبو ذر الهروي كان من الذين عليهم مدار الرواية لصحيح البخاري؛

فقد ذكر ابن حجر في الفتح أن رواية صحيح البخاري عنه قد اتصلت له من عدة روايات أتقنها رواية أبي ذر الهروي؛ بل عليها اعتمد في فتح الباري قال رحمه الله: «الاقتصار على أتقن الروايات عندنا، وهي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة؛ لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها، مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها»⁽³⁾.

والأسانيد المتصلة إلى رسول الله ﷺ هي عملية دينية خص الله به هذه الأمة، قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ؛ بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه»⁽⁴⁾.

قال عبد الله بن المبارك: «السند من الدين، ولولا السند لقال من شاء ما شاء»⁽⁵⁾، وغياب الأسانيد العلمية في الأمة اليوم وخصوصاً في التعليم العالي بالجامعات، إنما هو حالة من حالات اليهود كما قال ابن حزم، قد تدخل ضمن ما نهى النبي ﷺ عنه من اتباعهم وتقليدهم.

والأسانيد ليس خاصة بالقرآن والحديث؛ بل تتناول كل العلوم الإسلامية، من نحو وبلاغة ومنطق وفقه وغيرها، ولها قيمة توثيقية وتاريخية، تكشف لنا تواريخ تأليف المصنفات وتناقلها وتداولها ومدى الإقبال عليها، وتطلعنا على المعالم الثقافية لكل عصر، كما تحدد لنا العناصر الثقافية الرابطة بين العصور المتباعدة، وبين المناطق الجغرافية المتباعدة، عبر أشخاص أعلام نقف بدراسة أسانيدهم على معالم شخصياتهم، ومظاهر اهتمامهم، وجواب من تخصصاتهم.

(1) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 1/ 283.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي: 13/ 360.

(3) فتح الباري لابن حجر: 1/ 6 و7.

(4) الفصل في الملل والنحل لابن حزم: 2/ 69-70، وتدريب الراوي للسيوطي: 2/ 143.

(5) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، ص: 194، تحقيق أحمد صقر.

وإحياء لبعض هذه الأسانيد في مجال الحديث النبوي أقول: قد تحقق لي - والله الحمد - رواية البخاري بالسند المتصل إلى أبي ذر الهروي إلى رسول الله ﷺ عبر طرق أربعة:

الأولى: طريقة المغاربة "نسخة ابن سعادة":

هذه الطريقة مسلسلة بالمالكية إلى الهروي، وأشهر رواية اعتمدها الرواة بالمغرب والأندلس، وهي التي تسمى "نسخة ابن سعادة"⁽¹⁾.

أقول: أنا العبد الضعيف عبد الله بن طاهر أروي صحيح البخاري.

عن شيخى الفقيه العلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد الله التفكختي التناي المعروف بالصغير (ت 1419 هـ / 1998 م) تلقيته عنه بالإجازة والتلقي، رواية ودراية، تحقيقاً وتدقيقاً، مع شرحه فتح الباري لابن حجر غالباً، من أوله إلى آخره، قراءة عليه أحياناً، وسامعاً منه أخرى، بمدرسة "الما" للتعليم العتيق ما بين 1390 و 1396 هـ.

عن العلامة أحمد بن علي الكشطي التناي بالإجازة والتلقي (ت 1374 هـ / 1954 م).

عن العلامة عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي (ت 1266 هـ / 1350 هـ).

(1) نسخة ابن سعادة هي بخط أبي عمران موسى بن سعادة البلنسي الآتي ضمن سلسلة هذا السند المبارك، وقد كتبها مجزأة إلى خمسة أسفار، وفرغ منها في العشر الأخير من ذي القعدة عام 492 هـ؛ فظلت معتمد الناقلين والناسخين، وعنها كتبت نسخة أبي المحاسن يوسف الفاسي عام 1031 هـ، بخط الفقيه محمد بن علي بن محمد الحسنى المعروف بالجزولي (ت 1018 هـ)، وقرئت عليه بعد نسخها، ووقعت المقابلة بينها وبين نسخها الأصلية، وتكررت عملية التصحيح فيها، حتى أصبحت هاته النسخة الفرعية تنال نفس القيمة التي كانت للنسخة الأصلية، وعرفت بسبب ذلك بين رجال العلم بالنسخة "الشيخة".

أما النسخة الأصلية "نسخة ابن سعادة" فكانت محفوظة بخزانة القرويين، حتى استعارها السلطان العلوي محمد الرابع ابن عبد الرحمن، فكان يحملها معه في ركابه تبركا، وكذلك كان يفعل ولده المولى الحسن الأول، ثم انتقلت بعد ذلك إلى المولى عبد العزيز، ثم إلى المولى عبد الحفيظ، ثم إلى الخزانة العامة بالرباط، وبقي منها الآن أسفار ثلاثة: الثاني، والرابع، والخامس، تحت رقم: د/ 1333.

ومن الجدير بالذكر أن المستشرق الفرنسي الأستاذ لا في برو فنسال قام بنشر السفر الثاني منها منقولاً بالتصوير الشمسي من خطه الأصلي مع تصديره بمقدمة بالعربية باسم "التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة للمحدث المغربي محمد عبد الحي الكتاني، مع مقدمة أخرى بالفرنسية لنفس المستشرق، في باريس عام 1347 هـ - 1928 م في 177 ورقة عدا المقدمتين.

أما السفر الأول منها فقد ضاع قديماً وجدد بأمر السلطان العلوي محمد الرابع بانتساخ آخر بدله من النسخة الفرعية "الشيخة" عام 1228 هـ بخط محمد الهادي بن عبد النبي بن المجذوب الفاسي حيث كمل في 12 ذي الحجة عام 1285 هـ، وهذا السفر محفوظ بدوره بنفس الخزانة رقم: د/ 1332.

أما السفر الثالث منها فقد استعاره المستشرق الفرنسي المذكور، ولعله كان يُحاول تصويره نظيره عمله في السفر الثاني، غير أنه توفي (22 مارس 1956) قبل تحقيق ما أراد، وضاع هذا الجزء ولم يُعد إلى مكانه بالخزانة العامة بالرباط. انظر: فهرست العروة الوثقى لأبي عبد الله الحجوي، ص: 25، والتنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة لعبد الحي الكتاني، ص: 43، وقبس من عطاء المخطوط المغربي للعلامة محمد المنوني: 102/1 - 106، ومخطوطات صحيح البخاري بخزانة القرويين بفاس لمحمد بن عبد العزيز الدباغ، مجلة دعوة الحق - العدد: 283.

- عن العلامة محمد بن المدني كنون (ت 1302) (1).
- عن أبي عبد الله محمد بدر الدين بن أحمد الشاذلي الحمومي (د 1177 ت 1266 هـ).
- عن الشيخ المسند سيدي محمد التاودي بنسودة المري أبي عبد الله المتوفى بفاس (1209 هـ 1794 م) وقد جاوز التسعين وعليه مدار أسانيد أهل المغرب (2).
- عن محمد -فتحاً- بن قاسم جسوس أبي عبد الله (د 1109 ت 1182 هـ).
- عن عمه سيدي عبد السلام بن أحمد بن علي جسوس (ت 1121 هـ 1709).
- عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي أبي عبد الله (د 1042 ت 1116 هـ).
- عن والده عبد القادر بن علي بن يوسف أبي السعود (د 1007 ت 1091 هـ).
- عن عم والده عبد الرحمن بن يوسف بن محمد أبي زيد الفاسي (ت 1087 هـ 1667 م).
- عن محمد بن قاسم أبي عبد الله القيسي المعروف بالقصار محدث المغرب الغرناطي الأصل الفاسي الدار (ت 1013 هـ 1604 م) دفن بمراكش بقبة القاضي عياض.
- عن سيدي رضوان بن عبد الله أبي النعيم الجنوي، محدث فاس (ت 991 هـ) (3).
- عن الرحالة عبد الرحمن بن علي بن أحمد أبي زيد العاصمي المعروف بـ "سُقَيْن" (4).
- راوية المغرب ومفتي فاس وخطيبها (ت بفاس 956 هـ) عن قريب من التسعين (5).
- عن الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي الشهير بابن غازي المكناسي المولد الفاسي الدار (ولد سنة 858 و قيل: 841، وتوفي 919) (6).
- عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السراج (7).

- (1) أخذ الشيخ كنون أيضاً عن أبي العباس الرئيسي (ت 1277 هـ)، عن القاضي أحمد بن التاودي (ت 1235 هـ)، عن أبيه التاودي بنسودة الآتي؛ كما أخذ عن الوليد العراقي (د 1209 ت 1265 هـ)، عن أبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن السلمي (د 1174 ت 1232 هـ)، عن الشيخ التاودي بنسودة الآتي.
- (2) فهرس الفهارس للكتاني: 261/1.
- (3) قال عنه تلميذه الشيخ القصار: «لو أدركه أبو نعيم لصدر به حليته».
- (4) سُقَيْن بضم السين وتشديد القاف المفتوحة.
- (5) أخذ سقَيْن في رحلته عن تلامذة ابن حجر كزكرياء الأنصاري، والسخاوي والقلقشندي والسنباطي، فاجتمع لديه إلي سنده هذا سند ابن حجر، فجمع بين سند المغاربة وسند المشارقة وأصبح عمدة الإسناد في المغرب. قال عنه تلميذه رضوان الجنوي: «من أعظم النعم علي معرفتي بالشيخين: الغزواني وسقَيْن، فإن الغزواني غرس وحرث، والشيخ عبد الرحمن سقَيْن سقى ونقى».
- انظر: فهرس الفهارس للكتاني: 245/1، وفهارس علماء المغرب، د عبد الله التبرقي، ص: 536.
- (6) وهو أول من ابتدأ سرد صحيح البخاري في رمضان كل سنة، ولا زال الناس في المغرب يعتنون بقراءة صحيح البخاري في رمضان إلى الآن على سنة ابن غازي رحمه الله تعالى.
- (7) ذكره ابن غازي من شيوخه في فهرسه "التعلل برسوم الإسناد بعد ذهاب أهل المنزل والناد" نشر بتحقيق محمد الزاهي الدار البيضاء 1979. انظر: فهرس الفهارس للكتاني: 288-289.

- عن أبيه محمد أبي القاسم بن يحيى.
- عن جده يحيى بن أحمد أبي زكريا السراج الأندلسي النفزي الفاسي (ت 805 هـ).
- عن أبي البركات محمد بن محمد البلقيقي (ت 771 هـ) وعمره نحو التسعين سنة⁽¹⁾.
- عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (د 628 ت 708).
- عن أبي الخطاب محمد بن أحمد المعروف بابن خليل السكوني الأندلسي (ت 652 هـ).
- عن أبيه أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي الأندلسي البلنسي، ولد سنة 537 هـ وتوفي بمراكش في 6 رجب سنة 614 هـ وهو في عشر الثمانين.
- عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ولد في مرسية رمضان 496 هـ وتوفي منسلخ ذي الحجة 565 هـ⁽²⁾.
- عن صهره الحافظ القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدي الأندلسي المعروف بابن سكرة السرقسطي (ولد 452 هـ) استشهد في ملحمة قتندة⁽³⁾ في ربيع الأول سنة (514 هـ) وهو من أبناء الستين.
- عن الحافظ القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الأندلسي القرطبي الباجي، ولد في ذي الحجة سنة 403 هـ وتوفي بالمريّة في 19 رجب 474 وعمره 71 سوى أشهر⁽⁴⁾.
- عن شيخ الحرم الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بن محمد المعروف ببلده بابن السماك الأنصاري الخراساني الهروي المالكي.
- عن الثلاثة؛ المستملي، والكشميهني، والحموي؛
- أما المستملي: فهو المحدث الرحال أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود البلخي، راوي الصحيح عن أبي عبد الله الفربري⁽⁵⁾ سنة 314 هـ.
- أما الكشميهني: فهو المحدث الثقة أبو الهيثم محمد بن مكّي بن محمد بن مكّي بن زراع المروزي، حدث بصحيح البخاري مرات عن الفربري.
- أما ابن حمويه: فهو المحدث أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه، سمع في سنة 313 هـ الصحيح من الفربري. الثلاثة: المستملي والكشميهني والحموي رووا صحيح البخاري.

(1) هو من شيوخ عبد الرحمن بن خلدون انظر: مقدمة ابن خلدون، ص: 525.

(2) إليه تضاف نسخة صحيح البخاري بهذا السند فيقال: "نسخة ابن سعادة" كما سبق.

(3) قُتندة بلدة بالأندلس هي ثغر سرقسطة كانت بها وقعة بين المسلمين والأفرنج.

(4) رحل إلى المشرق سنة (420 هـ) فأقام فيه نحو 13 عاما فحج أربع حجج، وجاور 3 أعوام ملازما أبا ذر الهروي.

(5) نسبة إلى "فربر" بكسر الفاء وفتحها وهي من قرى بخارى.

عن الفربري وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر (د 231 هـ / ت 320 هـ) وقد أشرف على التسعين، وكان سماعه للصحيح من الإمام البخاري مرتين: مرة بفربر سنة 248 هـ، ومرة ببخارى سنة 252 هـ.

عن الشيخ الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري رحمه الله تعالى أمين قال: حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه}.....

ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 25 شيخا، وبينني وبين الحبيب المصطفى ﷺ 35 شيخا والله الحمد.

الثانية: طريقة القاضيين عياض وابن العربي

أقول: قد تحقق لي رواية أبي ذر الهروي لصحيح البخاري عن الحافظين القاضي عياض، والقاضي أبي بكر بن العربي بسندين:

السند الأول: أروي صحيح البخاري.

عن شيعي العلامة محمد بن محمد بن عبد الله التفكختي التناي (الصغير) المذكور بالإجازة والتلقي بالسند السابق في "طريقة المغاربة" إلى:

أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي البلسي السابق ذكره.

عن الشيخين: القاضي عياض بن موسى السبتي (د 476 ت 544 هـ)⁽¹⁾، والقاضي أبي بكر بن العربي (د 468 ت 543 هـ)⁽²⁾ كلاهما:

عن الحافظ أبي علي الحسين الصدي ابن سكرة السابق.

عن القاضي أبي الوليد الباجي كما في السند السابق

عن الحافظ أبي ذر الهروي بسنده السابق أيضا.

ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 25 شيخا، وبينني وبين الحبيب المصطفى ﷺ 35 شيخا والله الحمد.

(1) روى القاضي عياض صحيح البخاري أيضا عن أبي علي الحسين بن محمد الغساني (ت 498 هـ)، عن ابن عبد البر، عن أبي ذر الهروي، وبالإجازة عن أبي طاهر السلفي الأصبهاني، عن أبي مكتوم عيسى ابن أبي ذر الهروي، عن أبيه أبي ذر الهروي. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 4/65، وفهرس الفهارس للكتاني: 2/611.

(2) القاضي ابن العربي يروي أيضا عن محمد بن الوليد الطرطوشي (ت 525 هـ)، عن القاضي أبي الوليد الباجي، عن أبي ذر الهروي. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 4/65، وفهرس الفهارس للكتاني: 2/611.

السند الثاني: أروي صحيح البخاري أيضا بالإجازة.

- ◀ عن شيخي محمد بن علي آدم بن موسى مؤلف كتاب شرح النسائي (30 مجلدا) المدرس بالمسجد الحرام، أجاز لي بأسانيده في بيته بمكة المكرمة في حج 1425 هـ.
- ◀ عن الشيخين: العلامة محمد بن رافع بن بصيري الإثيوبي إجازة، والعلامة المحدث محمد بن عبد الله الصومالي المكي قراءة لأول الحديث منه، وإجازة لباقيه؛ كلاهما:
- ◀ عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الواحد المكي الهاشمي (د 1302 ت 1392 هـ).
- ◀ عن شيخه محدث الهند نذير حسين (ت 1299 هـ).
- ◀ عن الوجيه عبد الرحمن بن سليمان الأهدل اليمني (د 1210 ت 1260 هـ).
- ◀ عن جمع من علماء الحرمين⁽¹⁾.
- ◀ عن صالح بن محمد بن نوح العمري المالكي الفلاني (د 1166 ت 1218 هـ).
- ◀ عن محمد بن محمد بن سنة (بكسر السين وفتح النون المشددة) أبو عبد الله المغربي الفلاني الشنقيطي المعمر (د 1042 ت 1186 هـ) وعمره 144 سنة.
- ◀ عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله الولاتي (ت 1101 هـ).
- ◀ عن الشيوخ الثلاثة: أبي المعارف عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت 1036)، وأبي السرور محمد العربي الفاسي (ت 1052 هـ)، وأبي الفضل عبد الواحد بن أحمد بن عاشر صاحب نظم المرشد المعين (990 - 1040 هـ)؛ ثلاثتهم:
- ◀ عن الشيخ محمد بن قاسم القيسي القصار المذكور بسنده السابق "طريقة المغاربة" إلى:
- ◀ أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي البلنسي السابق ذكره.
- ◀ عن الشيخين: القاضي عياض، والقاضي أبي بكر بن العربي كلاهما:
- ◀ عن الحافظ أبي علي الحسين الصديقي ابن سكرة السابق.
- ◀ عن القاضي أبي الوليد الباجي كما في السند السابق.
- ◀ عن الحافظ أبي ذر الهروي بسنده السابق أيضا.

ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 24 شيخا، وبينني وبين الحبيب المصطفى ﷺ 34 شيخا والله الحمد.

الثالثة: طريقة الحافظ ابن حجر

قد تحقق لي رواية أبي ذر الهروي لصحيح البخاري عن الحافظ ابن حجر بسندين:

(1) قال عبد الرحمن الأهدل: الشيخ المعمر الحافظ الشهير محمد بن سنة العمري هو شيخي بالإجازة العامة، حصلت لي إجازة ابن سنة المذكور بالعموم لأنه أجاز لأهل عصره الموجودين وكانت وفاته في عشر التسعين التاء ومائة وألف، كما أفادني بذلك جمع من علماء الحرمين رويوا عن تلميذه العلامة صالح الفلاني المغربي عنه وأجازوني بذلك. انظر كتابه: "النفوس البائنة"، ص: 212، وفهرس الفهارس للكتاني: 2/ 1029.

السند الأول: أروي صحيح البخاري.

- عن شيخني محمد بن محمد (الصغير) المذكور، بسنده السابق طريقة المغاربة إلى:
- الإمام عبد الرحمن بن علي بن أحمد أبي زيد العاصمي (سُقَيْن) المذكور.
- عن أبي إسحاق إبراهيم بن علي القلقشندي القاهري (د 831 ت 921 هـ).
- عن الحافظ الإمام أحمد بن علي حجر العسقلاني (د 773 هـ 852 هـ).
- عن محمد بن حيان بن أبي حيان (الحفيد).
- عن جده أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي صاحب البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم (د 654 ت 745 هـ).
- عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (د 627 ت 708 هـ).
- عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن السراج الأشبيلي المعمر (ت 657) وعمره 97 سنة.
- عن خاله الإمام أبو بكر محمد بن خير بن عمر (ت في ربيع الأول 575 هـ) ⁽¹⁾.
- عن القاضي أبي بكر محمد بن العربي المعافري (د 468 ت 543 هـ)، وعن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (د 451 ت 539 هـ) كلاهما:
- عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى (ابن منظور) الإشبيلي (ت 464 هـ)، وزاد شريح: عن أبيه محمد بن شريح (392 - 476 هـ) كلاهما:
- عن أبي ذر الهروي بسنده السابق ⁽²⁾.

ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 23 شيخاً، وبينني وبين الحبيب المصطفى ﷺ 33 شيخاً والله الحمد.

السند الثاني: أروي صحيح البخاري بالإجازة.

- عن شيخني محمد بن علي آدم بن موسى المذكور بسنده السابق إلى:
- أبي محمد عبد الحق بن عبد الواحد المكي الهاشمي (د 1302 ت 1392 هـ).
- عن أحمد بن عبد الله بن سالم البغدادي.
- عن عبد الرحمن بن عباس بن عبد الرحمن.
- عن الحافظ محمد بن علي الشوكاني صاحب "نيل الأبطار" (د 1172 ت 1250 هـ).
- عن المحدث عبد القادر بن أحمد الكوكباني الحسني اليمني (د 1135 ت 1207 هـ).
- عن عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي الزييدي (د 1100 مات بمكة 1181 هـ).
- عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن الكردي (د 1081 ت 1145 هـ).

(1) روى ابن خير أيضاً صحيح البخاري عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن موهب (441-532 هـ)، عن أبي الوليد الباجي، عن أبي ذر الهروي.

(2) انظر هذا السند في فهرس الفهارس للكتاني: 1/ 158 و 245.

- عن والده إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني المدني الشافعي مسند القرن 11 الهجري، (د 1025 هـ ت 1101 هـ) ودفن بعد المغرب بالبقيع.
- عن محمد بن العلاء أبو عبد الله البابلي المصري الشافعي (د 1000 ت 1077 هـ).
- عن أبي النجا سالم بن محمد السنهوري المصري المالكي (945-1015 هـ).
- عن الحافظ محمد بن أحمد نجم الدين الغيطي المصري الشافعي (ت 982 هـ).
- عن شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز السنباطي الشافعي (د 837 ت 995 هـ).
- عن القاضي زيد الدين أبو يحيى زكرياء الأنصاري (د 823 ت 926 هـ).
- عن الحافظ الإمام أحمد بن علي حجر العسقلاني وقد ذكر سنده عن طريق أبي ذر الهروي في كتابه فتح الباري (1/6) وهو كما يلي:
- عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان النيسابوري الأصل المكي المعروف بالنشأوري (د 705 ت 790 هـ)⁽¹⁾.
- عن أبي أحمد إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري الشافعي (636-722 هـ).
- عن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي حرمي المكي (ت 19 رجب 645 هـ) بمكة.
- عن أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي (ت 576 هـ).
- عن أبي مكتوم عيسى ابن الحافظ أبي ذر الهروي (د سنة 415 ت 497 هـ).
- عن أبيه شيخ الحرم الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المالكي بسنده السابق.
- ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 21 شيخاً، وبينني وبين الحبيب المصطفى ﷺ 31 شيخاً والله الحمد.
- الرابعة: طريقة الحنابلة عبر ابن القيم وابن تيمية
- أروي صحيح البخاري بالإجازة.
- عن شيخي محمد بن علي آدم بن موسى المذكور بسنده السابق إلى:
- عن أحمد بن عبد الله بن سالم البغدادي.
- عن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت 1285 هـ).
- عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي، إمام الطائفة الوهابية السلفية ببلاد الحرمين، وإليه تنسب (1115-1206 هـ 1703-1792 م).
- عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي المدني (ت 1140 هـ).
- عن عبد القادر بن عمر بن عبد القادر التغلبي الدمشقي الصوفي⁽²⁾ (1052-1135).

(1) قال ابن حجر في المعجم المفهرس (1/25) عن شيخه هذا: «أخبرنا بطريق أبي ذر الهروي سماعاً عليه بالمسجد الحرام في شهر رمضان سنة 785، وهو أول شيخ سمعت عليه الحديث فيما أعلم». قلت: وعمر ابن حجر آنذاك 13 سنة.

(2) وصفه بالصوفية المرادي في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: 58/3. والكتاني في فهرس الفهارس: 2/772.

- عن المحدث تقي الدين عبد الباقي بن عبد الباقي البجلي الحنبلي الصوفي⁽¹⁾ الشهير بـ"ابن فقيه فصة" بكسر الفاء (د 1005 ت 1071 هـ).
- عن المحدث القاضي مفتي الحنابلة الشهاب أحمد بن علي المفلحي الوفائي.
- عن الشيخ الفقيه موسى بن أحمد بن موسى شرف الدين أبي النجا الحجاوي المقدسي من أهل دمشق كان مفتي الحنابلة فيها (ت 968 هـ / 1560 م).
- عن الشيخ الفقيه شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد المقدسي المعروف بالشويكي، مفتي الحنابلة بدمشق (د 875 ت 949 هـ).
- عن أحمد بن عبد الله العسكري -بضم العين- المقدسي الصالح (ت 910 هـ).
- عن الشيخ علاء الدين علي بن سليمان بن أحمد المرداوي الدمشقي الصالح الحنبلي صاحب "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (د 817 ت 885 هـ).
- عن الشيخ إبراهيم بن قندس البجلي الحنبلي، توفي يوم عاشوراء سنة (861 هـ).
- عن علاء الدين علي بن محمد أبي الحسن المعروف بابن اللحام الحنبلي (ت 803 هـ).
- عن الشيخ الحافظ الفقيه أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب (د 736 ت 795 هـ).
- عن الحافظ شمس الدين ابن القيم الجوزية، صاحب زاد المعاد (ت 751 هـ).
- عن شيخ الإسلام الحافظ تقي الدين ابن تيمية (د 660 هـ ت 728 هـ).
- عن الفخر بن البخاري الحافظ أبي الحسن علي بن الإمام أحمد بن عبد الواحد المقدسي المعروف بابن البخاري الفقيه الحنبلي (د 596 هـ ت 690)⁽²⁾.
- ذكر ابن البخاري في مشيخته⁽³⁾ أنه يروي بالسماع أو بالإجازة عن عدة شيوخ منهم: أبو محمد عبد الواحد بن إسماعيل بن ظافر الأزدي (ت 613 هـ) بدمشق، وأبو محمد عبد الوهاب بن ظافر الإسكندري (د 554 ت 648 هـ)، والصالح أبو علي الحسن بن أحمد الإوقي⁽⁴⁾ (ت بالقدس 630 هـ)، وأبو الفضل جعفر بن علي بن أبي البركات هبة الله الإسكندري المالكي (د 546 هـ بالإسكندرية ت 636 هـ بدمشق)، وغيرهم؛ كلهم:

(1) قال في كتابه (مشيخة أبي المواهب الحنبلي، ص: 2): «أخذت طريق الصوفية عن ولد عمي الشيخ نور الدين...، وأجازني الشيخ محمد العلمي في القدس بالبداة في الأوراد والأذكار والمخيا إذا كنت بين إخواني».

(2) قال عنه ابن تيمية: «ينشر صدره إذا أدخلت ابن البخاري بيني وبين النبي ﷺ في حديث» انظر: شذرات الذهب لابن العماد: 414/5.

(3) انظر: مشيخة ابن البخاري: 2/815، 831، 1112، و3/1541، 1595، 1669.

(4) الإوقي بكسر الهمزة وفتح الواو ثم قاف مكسورة تليها ياء النسب.

- عن الشيخ أحمد بن محمد أبي طاهر الحافظ السلفي الأصبهاني (472-576هـ) (1).
- عن أبي مكتوم عيسى ابن الحافظ أبي ذر الهروي السابق.
- عن أبيه أبي ذر الهروي بسنده السابق.
- ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 21 شيخاً، وبين الحبيب المصطفى ﷺ 31 شيخاً والله الحمد.
- ثالثاً: أبو ذر الهروي من رواية الموطأ؛
- فقد تحقق لي أيضاً - والله الحمد - رواية موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني بالسند المتصل إلي ذر الهروي عبر (طريقة المغاربة) السابقة.
- عن شَيْخِي العلامة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله (الصغير) المذكور بالإجازة بسنده إلى:
- أبي الخطاب أحمد بن محمد (ابن واجب) القيسي المذكور.
- عن القاضي عياض بن موسى السبتي.
- عن أبي علي حسين بن مُحَمَّد الغساني الجبالي (د 427 ت في شعبان 498هـ).
- عن ابن عبد البر صاحب التمهيد والاستذكار (د 368 ت 463هـ).
- عن أبي ذر الهروي.
- عن أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف (د 270 ت 359هـ).
- عن أحمد بن محمد بن محمد بن مهراز.
- عن محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ) صاحب أبي حنيفة قال:
- أخبرنا مالك بن أنس (2)، عن يزيد بن زياد مولى بني هاشم، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، عن أبي هريرة أنه سأله عن وقت الصلاة فقال أبو هريرة: «أنا أخبرك: صل الظهر إذا كان ظلك مثلك، والعصر إذا كان ظلك مثلك، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء ما بينك وبين ثلث الليل؛ فإن نمت إلى نصف الليل فلا نامت عينك، وصل الصبح بغلس» (3).

(1) ذكر السلفي في كتابه (الوجيز في ذكر المجاز والمجيز ص 122 و 124 و 125): أن أبا نصر محمود بن الفضل الأصبهاني (توفي ببغداد رجب 512هـ) تولى أخذ الإجازة له في عرفات بحج 497هـ من أبي مكتوم الآتي حين تعذر السماع منه، وذلك حين أرجأه إلى وقت دخوله مكة، لكن أبا مكتوم تعجل ففاته السماع منه واكتفى بالإجازة.

(2) نقل هذا السند - من عياض إلى آخره - الكتاني في فهرس الفهارس: 2/ 611. فقال: «عجبة: حدث أبو ذر الهروي بكتاب الموطأ رواية محمد بن الحسن الشيباني بهذا السند ولنا أن نروها من طريق عياض، عن أبي علي الغساني، عن ابن عبد البر عنه؛ مع أن إسناد رواية محمد بن الحسن نادر في فهارس المتأخرين فكيف بالمتقدمين!».

(3) الموطأ رواية محمد بن الحسن: 43/ 1.

وأخبرنا مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم؛ فما نهيتكم عنه فاجتنبوه»⁽¹⁾.

ملاحظة: بيني وبين أبي ذر الهروي في هذا السند المبارك 26 شيخا، وبينني وبين الإمام مالك 30 شيخا، وبينني وبين الحبيب المصطفى ﷺ 36 شيخا والله الحمد.

أبو ذر الهروي: الوفاة

في وفاة أبي ذر الهروي -رحمه الله- بين العلماء اتفاق واختلاف. أما الاتفاق: فقد اتفقوا على أنه توفي في الحرمين زمانا ومكانا، أما الزمن الحرم: فشهر ذو القعدة لخمس خلون منه، أما المكان الحرم: فمكة المكرمة.

أما الاختلاف: فقد اختلفوا في سنة وفاته؛ فنقل القاضي عياض، وأبو العباس بن الخطيب، وابن قنفذ أنها كانت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة 435 هـ⁽²⁾. بينما نقل الخطيب البغدادي -وهو معاصره- وابن عساكر، والإمام الذهبي، وعبد العزيز الكتاني أنها كانت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة 434 هـ⁽³⁾.

وهكذا انتقل هذا العالم الكبير، والمحدث الفاضل، والحافظ الثقة الواسع الرواية والدراية، الفقيه المالكي الأشعري إلى رحمة الله تعالى بعد أن نشر الحديث النبوي الشريف، وخصوصا صحيح البخاري، وبعد أن علم وأسس وقعد وبث العقيدة الأشعرية في كل من الحرم المكي والمغرب الإسلامي عبر مئات من تلامذته؛ فرحمه الله رحمة واسعة، ورضي عنه وأرضاه وعنا به آمين.

الاستنتاجات

لا بد من الخروج بنتائج وفوائد أثناء سبر أغوار حياة عالم من العلماء، ومن خلال هذه الجولة في محطات حياة الحافظ المحدث أبي ذر الهروي نستنتج ما يلي:

(1) أن العقيدة الأشعرية قضية اعتنقها ونافح عنها المئات من علماء هذه الأمة، بحيث لا خير فيها إذا أزيحوا عنها، شهد لهم بذلك حتى أعداؤهم الذين يكفرونهم؛ قال ابن تيمية: «ما من هؤلاء -الأشاعرة- إلا له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة،

(1) الموطأ رواية محمد بن الحسن: 507/3.

(2) ترتيب المدارك لعياض: 233/7، والوفيات لأبي العباس بن الخطيب، ص: 240، والوفيات لابن قنفذ، ص: 8.

(3) تاريخ بغداد للخطيب: 141/11، وتاريخ دمشق لابن عساكر: 393/37، وسير أعلام النبلاء للذهبي:

361/13، وشذرات الذهب لابن العماد: 252/3، وذيل مولد العلماء لعبد العزيز الكتاني، ص: 183.

وله في الرد على كثير من الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من السنة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وعدل وإنصاف»⁽¹⁾.

(2) أن الرحلات العلمية أمر متأصل في هذه الأمة، بحيث لا يكاد عالم انتفعت به الأمة، إلا ووجدت له رحلات علمية جاب فيها الآفاق بحثاً عن مراعي العلم والعلماء، وهذا ما تحقق لأبي ذر الهروي؛ حيث ولد في هراة بخراسان، ثم انتقل إلى البصرة، فبغداد، فدمشق، فمصر، ثم الاستقرار في الحجاز مكة المكرمة.

(3) أن كثرة الشيوخ توسع أفق العالم، وتشحذ همته، وتنوع علمه، ليستطيع بذلك التصدي للعطاء العلمي، معتمداً على مخزون علمي وافر، وهذا ما تحقق لأبي ذر الهروي فقد فاق شيوخه المائة.

(4) أن كثرة تلامذة أبي ذر الهروي تدل على اتساع علمه ورحابة صدره وامتداد أفقه.

(5) أن كثرة تلاميذ أبي ذر الهروي من المغاربة يفسر ما كان عليه المغاربة من حب وتقدير واحترام لأهل الحرمين؛ فقد كان مذهبهم في الفقه مذهب مالك المدني، وقراءتهم في القرآن رواية ورش عن نافع، فكذلك عقيدتهم هي عقيدة الهروي عن الأشعري.

(6) أن الشخص يمكن أن يصل بعلمه إلى مكان وزمان لم يصل إليهما بجسده؛ فقد بث أبو ذر الهروي العقيدة الأشعرية في الأندلس والمغرب وإن لم يزرهما قط، وكذلك فعل الإمام مالك في مذهبه، والإمام نافع بقراءته.

(7) أن أخذ العلوم بالسند أمر يعرف قيمته من تذوقه، ويكفي أنه طريق يربط طالب علم برسول الله ﷺ، وهو عملية دينية خص الله به هذه الأمة، فيجب إحيائها والتمسك بها، فهي الحركة العلمية التي تحمل إلينا البركة الدينية. والله الموفق للصواب.

عبدالله بن محمد (ابن الطاهر)

5 ذي الحجة 1431 هـ / 11 / 12 / 2010 م

بعد صلاة الجمعة - مدرسة الإمام البخاري للتعليم العتيق أكادير - المغرب

(1) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 2/ 101.

أهم المراجع

1. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، تحقيق أحمد صقر، ط، 1379 هـ 1970 م.
2. بغية الملتبس في تاريخ علماء الأندلس لأبي جعفر الضبي، المكتبة العصرية بيروت.
3. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الذهبي، دار الكتاب العربي بيروت، 1407 هـ 1987 م.
4. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت.
5. تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق علي شيري.
6. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ط، مصر 1966، وط، المستشرق الإسباني فرنسيسكو كوديرا يمدريد 1890 م.
7. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة.
8. تذكرة الحفاظ للذهبي، تحقيق زكريا عميرات.
9. ترتيب المدارك للقاضي عياض، تحقيق أحمد أعراب، ط، وزارة الأوقاف المغرب.
10. التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات، تحقيق د، علي عمر.
11. تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ليوسف أحنانة، الناشر وزارة الأوقاف المغرب.
12. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.
13. التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة لعبد الحلي الكتاني، من منشورات مركز نجيبويه.
14. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي، الديار المصرية 1966.
15. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق محمد رشيد سالم، ط، دار الكنوز، الرياض، 1391 هـ.
16. الديباج المذهب للقاضي ابن فرحون، تحقيق مأمون الجثان دار الكتب العلمية بيروت.
17. ذيل مولد العلماء لعبد العزيز الكتاني، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان، دار العاصمة، سنة النشر 1409.
18. الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، تحقيق إحسان عباس طبعة 1980.
19. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل بن السيد علي المرادي.
20. سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، نسخة دار الفكر بيروت بتحقيق محب الدين العمري.
21. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير.
22. الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم بيروت.
23. الصلة في تاريخ علماء الأندلس لابن بشكوال، المكتبة العصرية بيروت.
24. طبقات القراء لابن الجزري مطبعة الخانجي، مصر.
25. طبقات المفسرين للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، طبعة 1996.
26. فتح الباري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار المعرفة بيروت 1379 هـ.
27. الفصل في الملل والنحل لأبي محمد ابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي القاهرة.
28. فهارس علماء المغرب، للدكتور عبد الله التبرقي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1420 هـ 1999 م.
29. فهرس الفهارس لعبد الحلي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة: 2/ 1982.
30. قيس من عطاء المخطوط المغربي للعلامة محمد المتوني، دار الغرب الإسلامي بيروت 1999 م.
31. مختار الصحاح للرازي، تحقيق محمود خاطر، بيروت، ط، 1415 هـ 1995.
32. مختصر العروة الوثقى فهرست لأبي عبد الله الحنجوي، مطبعة الثقافة سلا المغرب، 1357 هـ 1938.
33. مخطوطات صحيح البخاري بخزانة القرويين بفاس لمحمد بن عبد العزيز الدباغ، مجلة دعوة الحق - العدد: 283.
34. مشيخة ابن البخاري تحقيق د. عوض عتقي سعد الحازمي سنة النشر 1419 هـ بمكة المكرمة.
35. مشيخة أبي المواهب الحنبلي لتقي الدين عبد الباقي بن عبد الباقي.
36. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية للمؤرخ عاتق البلادي.
37. معبد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي.
38. مقدمة عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر.
39. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، نشر دار صادر. 1358.
40. النفس الباني والروح الريحاني لعبد الرحمن بن سليمان مقبول الاهل الحسيني.
41. نفح الطيب من عصن الأندلس الرطب لأحمد المقرئ التلمساني، تحقيق إحسان عباس.
42. الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي.
43. الوجيز في ذكر المجاز والمجيز لعلماد الدين أحمد بن محمد أبي طاهر السلفي الأصباني.
44. الوفيات لأبي العباس بن الخطيب، تحقيق عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، سنة النشر 1978 م.
45. الوفيات لأحمد بن قنفذ تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق بيروت 1971 م.